الفصل الأول

فصل تمهيدي

- تمهيد.
- ما المقصود بتجديد الخطاب الديني؟
- مكانة العقل وعلاقته بتجديد الخطاب الديني.
- جدلية النص والعقل عند علماء الكلام.
- دور العقل في المعرفة.
- العقل والدعوة الإسلامية في حياتنا المعاصرة.
- العقل الإسلامي وفتح باب الاجتهاد.
- العقل في كل ميدان من ميادين حياتنا.
- مشكلات في طريق التجديد: (التحديات الداخلية).

الفصل الأول

فصل تمهيدي

تمهيد:

تعتبر قضية الخطاب الديني من القضايا المهمة والتى شغلت أذهان المفكرين ورجال الدين في عالمنا المعاصر.

لقد حاول البعض طرح هذه القضية من زوايا مختلفة سواء ثقافية، أو فكرية، أو غيره من الرؤى، وهذه الدراسة تطمح إلى تسليط الضوء على أبعاد هذه القضية من منظور إسلامي معتدل.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143].

لقد شغلت هذه القضية الفكر الإسلامي المعاصر ما بين مؤيد للمصطلح وما بين رافض، وكلتا النظرين في حاجة إلى إمعان نظر لتحديد المصطلح مما ران عليه من غبش نتاج الفهم المتسرع تارة، والفهم المغلوط تارة أخرى.

ومنهجنا الذي نعتمد عليه في جل القضايا والموضوعات التي تطرح على

العقل المسلم من منطلق الاعتدال والتوازن، أو المنهجية الإسلامية الشاملة التي تنظر إلى الحقيقة من كافة جوانبها.

إن من ينظر إلى الحقيقة نظرة أحادية و يدعي أنه يمتلك الحقيقة كمثل من ينظر إلى نصف الكوب الفارغ، ولا ينظر إلى نصف الكوب المملوء.

إن إعمال العقل في القضايا والمستجدات المطروحة على العقل المسلم، لمن أهم الأولويات في واقعنا المعاصر، وهذا بطبيعة الحال يجرنا إلى فتح باب الاجتهاد بضوابطه، وتجديد الخطاب الديني وفق آليات جديدة تلبي أشواق وطموحات العقل الإسلامي، لا أن نعيش أفكارًا ربما يكون قد تجاوزها الزمن.

ومن هنا، فإنني أصارح نفسي، بكل ثقة، واطمئنان بأننا لا نخشى على ديننا من تجديد الخطاب الديني في واقعنا المعاصر بشروطه وضوابطه التي سنعرض لها في الصفحات القادمة؟

أولًا: ما المقصود بتجديد الخطاب الديني؟

سؤال مبرر ومشروع و يتعين علينا - كما قلت آنفا - في مقدمة الدراسة أن نحرر المصطلح مما ران عليه من غبش، ونبرز الصورة الصحيحة حتى ننطلق إلى معالجة باقي الموضوعات.

بادئ ذي بدء، لا بد أن نفرق بين الثوابت والمتغيرات، ففي مجال القطعيات أو المنطقة المحرمة؛ مثل وجوب الصلوات الخمس والزكاة وما اتفقت عليه الأمة، أو قطعي الثبوت قطعي الدلالة فلا مجال لتجديد الخطاب الديني فيه.

أقـول إن كثيرًا من المشـتغلين بالدعوة الإسـلامية يقلقون قلقًـا بالغًا إثر سـماعهم مصطلـح تجديـد الخطاب الديـني، خشـية تحويـل القطعيات إلى متغيرات أو الاجتراء على ثوابت الدين.

ومن جانب آخر ربما يعتقد البعض أن هذه دعوة غربية، من أجل إخراج الدين من أصالته وثوابته.

ويجدر بنا أن نشـير إلى المقصـود بالقطعي والظني بوضـوح وجلاء حتى يتضح الأمر.

إن النصـوص الدينيـة الموجـودة في القرآن والسـنة فيها مـا هو قطعي وما هـو ظني، والقطعي أو الظـني إما في الثبوت و إمـا في الدلالة، فقطعي في الثبـوت مـا ورد بطريق مقطوع بصحته، والقـرآن الكريم كذلك. أما السـنة ففيها قطعي الثبوت كالأحاديـث المتواترة، وفيها ظني كالأحاديث الأخـرى على خلاف ذلك. وخلاصة هذا الـرأي: ذهب بعض العلماء، إلى أن خـبر الآحاد وهو غير المتواتـر لا يفيد القطع بل هو ظني الثبوت، وهو الـذي رجحـه النـووي في «التقريب» وذهـب غيرهم إلى أنـه يفيد العلم اليقيني، وهو مذهب داود الظاهري، والحسين بن علي الكرابيسي والحارث المحاسـبي وحكى عن مالـك وذهب إليه ابن حزم، قـال في «الإحكام» إن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله ﷺ يوجب العلم والعمل معًا، واختار ابن الصلاح أن ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما أو رواه أحدهما مقطوع بصحته والعلم اليقيني النظري واقع به، واستثنى من ذلك أحاديث قليلـة تكلم عليها بعض أهل النقد، كالدار قطني، يقول الشـيخ شـاكر في تعليقه على كتاب (الباعث الحثيث) لابن كثير، الحق أن الحديث الصحيح

يفيد العلم القطعي، كما ذهب إليه ابن حزم ومن معه، سواء أكان في أحد الصحيحين أم في غيرها، وهذا العلم اليقيني علم نظري برهان لا يحصل إلا للعالم بأحوال الرواة والعلل[1].

وقطعي الدلالة ما دل على معنى لا يحتمل غيره، والظني ما احتمل أكثر من معنى، والقرآن الكريم والسنة النبوية فيهما هذان النوعان، فما كانت دلالته قطعيته وجب الإيمان به واتباعه كوجود الله وقدرته ونبوة الرسول وعموم رسالته وكذلك العقائد الأخرى، والمقررات الشرعية في الحدود والميراث وما علم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة وسائر العبادات وتحريم الشرك والقتل والزنا وما كانت دلالته ظنية أي يحتمل عدة معانٍ وكل معنى منها لا يحيله العقل بل يصلح للدلالة عليه ولم يقم إجماع على تعيين منها فلا يجب الجزم بأحد المعاني، ويجوز لما كان من أهل النظر أن يختار ما ترجح عنده بواسطة القرائن. ومن لم يكن من أهل النظر والاستنباط فعليه أن يقلد واحدًا من أهل الاستنباط. ومن هذا القسم قوله تعالى في آية الوضوء ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة: 6] فإن الباء الداخلة على الرءوس يحتمل أن تكون للتبعيض وأن تكون الباء للإلصاق وأن تكون زائدة، والآية صالحة لكل هذه الاحتمالات، ولذلك أخذ كل إمام من المجتهدين باحتمال وهذه المرونة في النصوص من رحمة الله بالأمة، لأنها في الفروع التي لا يضر الاختلاف فيها[2].

ووقف البعض عند حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو داود والحاكم

(1) جاد الحق علي جاد الحق: بيان للناس جامعة الأزهر ص 106.
(2) المرجع السابق: نفس الصفحة.

وصححه غير واحد عن أبي هريرة مرفوعًا: **«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»**[1].

ليس المقصود بطبيعة الحال التجديد في الدين، فالدين لا يجدد، فالزمن هو الذي يساير الدين وليس العكس - كما يزعم الواهمون - وإنما التجديد الذي ننشده هو فهم الإسلام وقضاياه في ضوء مستجدات العصر وتحدياته أو بعبارة أخرى نتعامل مع العصر بإشكالياته جميعًا، والدين الإسلامي له من الثبات والمرونة أيضًا، ما يعطي للعقل المسلم الانطلاق والتجديد في كل القضايا والمفاهيم التي تواجهه.

وبعبارة أخرى فالدين هو الدين، ولا نريد الدين (المودرن) على مقاس من يريدونه هكذا !، كلا وألف كلا فهذا ليس دأبنا وديننا في هذا الطرح، إنما نريد تطوير الآليات ومفاهيم النظر إلى القضايا الإسلامية المختلفة في ظل الواقع الذي نعيش فيه[2].

ثانيا: مكانة العقل وعلاقته بتجديد الخطاب الديني:

لعلنا بعد الطرح السابق، وبيان المقصود بمصطلح تجديد الخطاب الديني. آثرنا أن نعرض لمكانة العقل في النظر الإسلامي لما له من صلة بموضوع دراستنا.

(1) رواه أبو داود في كتاب الملاحم من سننه برقم (427)، والحاكم في المستدرك 4/ 523 والبيهقي في معرفة السنن والآثار وصححه العراقي والسيوطي كما في فيض القدير 21/ 282.

(2) قال الإمام السيوطي ولا يشترط أن يأتي كل مائة سنة ويمكن أن يأتي أكثر من مجدد في زمن واحد. (انظر جلال السيوطي - التنبئية من شعبة الله على رأس كل مائة). نقلًا عن مرجع د. رفعت السعيد: تاريخ جماعة الإخوان (المسيرة والمصير) ص 17.